

الفلسطينية » . لم يكن الان بروت ، المحرر الشاب في دار روبرت هارت - ديفيز ، يعرف عن حالة الشرق الاوسط الا النزر الضئيل ، ولذا لم استطع اقامة حوار مرض معه وكان هذا امرا مزعجا . وكان يعترض على أية تعليقات أضيفها الى المحتوى الواقعي للنص... ويقول : « الزمي نفسك بالحقائق فحسب ... اشرحي كل شيء بأكثر ما تستطيعين من التفاصيل ... ودعي هذه التفاصيل تروي القصة » . كان هذا طلبا عادلا . وبعد بداية متسرعة ومترددة ، وضعت اول مسودة . وفي اواخر ١٩٧١ ، قدمت المسودة لميكل آدمز في « مجلس تحسين التفاهم العربي البريطاني » لمراجعتها ، وحرصت على ان اضم كل اقتراحاته وتعدلاته وتصحيحاته في مسودة ثانية . ثم قدمت دار هارت - ديفيز المخطوطة لمحرر مخطوطاتها الخارجي . ولم يسمح لي قط بمعرفة هوية هذا المحرر ، وكل ما علمته هو انها كانت امرأة و « خيرة » في الشرق الاوسط . ومن انتقاداتها ادركت ان معرفتها لم تكن محدودة الى حد محزن فحسب ، ولكنها صهيونية مئة بالمائة ايضا . وقد لفت نظر المحرر الان بروت الى هذا الامر فحاول ان ينكر تحيزها الى ان اثبت له بمساعدة حقيقة قوية . لقد كانت انتقاداتها للنصوص عديدة ولا يمكن ذكرها هنا بالتفصيل ، باستثناء نقطتين او ثلاث توضيح مدى معرفتها . ففي فصل يحمل العنوان « الهجرة + الاستيطان = الاضطرابات » فصلت المشكلات التي واجهتها تلك العائلات الفلسطينية التي تشتدت حينما بيعت الارض التي كانت تقيم عليها الى اليهود ( منذ الايام الاولى للانتداب ) . وقد اصرت المحررة ان مثل هذا التشريد لم يحدث . غلفت نظر محرري الى ان البريطانيين اصدروا قانونين وقوانين ، هما **قانون نقل الاراضي** الذي يؤمن التعويض عن المستأجرين او الابقاء عليهم ، و**قانون حماية المزارعين** لعام ١٩٢٩ الذي يؤمن تعويض ائذار سنة . وكان علي ايضا ان لفت النظر الى ان هذه الحقيقة ، وهي بلا ريب قلب مشكلة تكاثرت بمعدل مفرع ، وقد اوجزها ويحظها آرثر روبن في كتابه « الاستعمار الزراعي للمنظمة الصهيونية في فلسطين » ، الصادر في لندن عام ١٩٤٧ . واعترضت المحررة بنفس ، كذلك ، على ما كشفت عنه من حقائق فظة حول ممارسة التمييز

شرسا ( في الصحف ، وفي رسائل الى صحيفة **جويش كرونكل** ، وفي سلسلة من الرسائل المرسلة الى عنوان بيتي ) ، كما انني تعرضت لهجوم شنه على اعضاء جماعات ضاقطة في بريطانيا ، مكرسة للتضحية العربية الاوسع .

اني اذكر كل هذا لانه يجعل رفض غرانادا لكتابي اكثر غرابة وغموضا . فكتابي في آخر الامر مؤيد للعرب ، ولكنه في الوقت ذاته يهاجم ايلة مؤسسة تعمل ضد مصالح الشعب الفلسطيني بوجه عام . فهو ينتقد البريطانيين والصهاينة والمؤسسة العربية ، وهذه النقطة الاخيرة اثاره أشد الانتقادات من الجماعات الضاغطة. فانا اعتبر الشعب الفلسطيني ضحية خطأ مريع هائل ، وانحو باللوم على استغلات البريطانيين والصهاينة والامريكيين ، كما انحو باللوم على حكومات عربية معينة لاساعاتها الفادحة ادارة المشكلة واساعاتها معاملة الجاليات الفلسطينية الموضوعية تحت رحمتها . وانا ضد قوة الطبقات الحاكمة واحسن العائلات والنخبة في الشرق الاوسط ، والمآزق المريع الذي يواجه من هم اقل حظا . وان ادراكي لوجود حرب طبقية حادة في الشرق الاوسط ، وادراكي لحنة اليهود الشرقيين في اسرائيل ، وجهودي لفضح نفاق حكومات عربية معينة قد زجني في نزاع مع الذين يفضلون تجاهل هذه الامور وينتقدوني للسماح لهذه الحقائق بأن تصرف انتباه غير المطلعين عن اعتراضاتنا الاساسية على الصهيونية .

ان كتابي هو ابعد ما يكون عن كونه قطعة من الدعاوة للتضحية . لقد حاولت ان اشرح المآزق من وجهات نظر عديدة بقدر الامكان ، لاعطاء اوسع نظرة لغير المطلعين . فالدعاوة المتعلقة لا توصلك الى هدفك ، بسرعة ، وكثيرا ما تؤدي الى عكس ما يتبغيه المرء . لقد كلفني غرانادا بتأليف الكتاب وشددت على رغبتها في الحصول على رواية تفسيرية للمشكلة الفلسطينية . ويسرني ، بطريقة ما ، ان تكون معرفتي بحالة الشرق الاوسط قد ابتدأت من نقطة الوهم الجسيم الذي سرعان ما تحطم ، ثم توصلت الى الحقيقة . انني اعرف بعض الشيء الان عن كيفية النفاذ عبر طبقات الاعتقادات والانكار الخاطئة في الغرب .

لقد جربت معرفتي هذه في كتابي « المشكلة